رحيل عبدالرحمن بن خلدون

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك وفاة العالم الموسوعي ورائد علم الاجتماع «عبد الرحمن بن خلدون» الذي تعد بحوثه ودراساته سبقًا في كثير من العلوم والفنون كالتاريخ والسيرة الذاتية والدراسات التربوية وغيرها.

نشأة «ابن خلدون» وشيوخه

ولد «ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن بن جابر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد (خلدون) الحضرمي» بتونس في [غرة رمضان 732هـ= 27 من مايو 1332م]. ونشأ في بيت علم ومجد عريق، فحفظ القرآن في وقت مبكر من طفولته، وقد كان أبوه هو معلمه الأول، كما درس على مشاهير علماء عصره، من علماء الأندلس الذين رحلوا إلى تونس بعدما ألم بها من الحوادث، فدرس القراءات وعلوم التفسير والحديث والفقه المالكي، والأصول والتوحيد، كما درس علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب، ودرس كذلك علوم المنطق والفلسفة والطبيعية والرياضيات، وكان في جميع تلك العلوم مثار إعجاب أساتذته وشيوخه، ومن أبرز هؤلاء الأساتذة والمشايخ: مُحَمَّد بن عبد المهيمن الحضرمي، ومُحَمَّد بن سعد بن برال الأنصاري، ومُحَمَّد بن الشواشي الزرزالي، ومُحَمَّد بن العربي الحصايري، وأحمد بن القصار، ومُحَمَّد بن جابر القيسي، ومُحَمَّد بن سليمان الشقلي، ومُحَمَّد بن إبراهيم الآبلي، وعبد الله بن يوسف المالقي، وأحمد الزواوي، ومُحَمَّد بن عبد السلام وغيره. وكان أكثر هؤلاء المشايخ تأثيرا في فكره وثقافته: مُحَمَّد بن عبد المهيمن الحضرمي، إمام المحدثين والنحاة في المغرب، ومُحَمَّد بن إبراهيم الآبلي الذي أخذ عنه علوم الفلسفة والمنطق والطبيعة والرياضيات.

وباء الطاعون يعصف بشيوخ «ابن خلدون»

وعندما حدث وباء الطاعون الذي انتشر عام [749هـ= 1348م] وعصف بمعظم أنحاء العالم شرقًا وغربًا، كان لهذا الحادث أثر كبير في حياة «ابن خلدون»؛ فقد قضى على أبويه كما قضى على كثير من شيوخه الذين كان يتلقى عنهم العلم في «تونس»، أما من نجا منهم فقد هاجر إلى المغرب الأقصى سنة [750هـ= 1349م] فلم يعد هناك أحد يتلقى عنه العلم أو يتابع معه دراسته، فاتجه إلى الوظائف العامة، وبدأ يسلك الطريق الذي سلكه أجداده من قبل، والتحق بوظيفة كتابية في بلاط بني مرين، ولكنها لم تكن لترضي طموحه، وعينه السلطان «أبو عنان» - ملك المغرب الأقصى - عضوًا في مجلسه العلمي بفاس، فأتيح له أن يعاود الدرس على أعلامها من العلماء والأدباء الذين نزحوا إليها من «تونس» و«الأندلس» و«بلاد المغرب».

في بلاط أبي سالم

ولكن سرعان ما انقلبت الأحوال بابن خلدون حينما بلغ السلطان «أبو عنان» أن «ابن خلدون» قد اتصل بأبي عبد الله مُحَمَّد الحفصي - أمير «بجاية» المخلوع - وأنه دبر معه مؤامرة لاسترداد ملكه، فسجنه أبو عنان، وبرغم ما بذله ابن خلدون من شفاعة ورجاء فإن السلطان أعرض عنه، وظل «ابن خلدون» في سجنه نحو عامين حتى توفي السلطان سنة [759هـ= 1358م]. ولما آل السلطان إلى «أبي سالم أبي الحسن» صار «ابن خلدون» ذا حظوة ومكانة عظيمة في ديوانه، فولاه السلطان كتابة سره والترسيل عنه، وسعى «ابن خلدون» إلى تحرير الرسائل من قيود السجع التي كانت سائدة في عصره، كما نظم الكثير من الشعر في تلك المرحلة التي تفتحت فيها شاعريته.

طموح ابن خلدون

وظل «ابن خلدون» في تلك الوظيفة لمدة عامين حتى ولاه السلطان «أبو سالم» خطة المظالم، فأظهر فيها من العدل والكفاية ما جعل شأنه يعظم حتى نفس عليه كثير من أقرانه ومعاصريه ما بلغه من شهرة ومكانة، وسعوا بالوشاية بينه وبين السلطان حتى تغير عليه، فلما ثار رجال الدولة على السلطان أبي سالم وخلعوه، وولوا مكانه أخاه «تاشفين» بادر «ابن خلدون» إلى الانضمام إليه، فأقره على وظائفه وزاد له في رواتبه. ولكن طموح «ابن خلدون» كان أقوى من تلك الوظائف؛ فقرر السفر إلى «غرناطة» بالأندلس في أوائل سنة [764هـ= 1362م].

ابن خلدون في غرناطة

وفي «غرناطة» لقي «ابن خلدون» قدرًا كبيرًا من الحفاوة والتكريم من السلطان «مُحَمَّد بن يوسف بن الأحمر» - سلطان «غرناطة» - ووزيره «لسان الدين بن الخطيب» الذي كانت تربطه به صداقة قديمة، وكلفَ السلطان بالسفارة بينه وبين ملك قشتالة بطرُه بن الهنشة بن ألفونش لعقد الصلح بينهما، وقد أدى ابن خلدون مهمته بنجاح كبير، فكافأه السلطان على حسن سفارته بإقطاعه أرضا كبيرة، ومنحه كثيرًا من الأموال، فصار في رغد من العيش في كنف سلطان «غرناطة». ولكن لم تدم سعادة «ابن خلدون» طويلا بهذا النعيم، إذ لاحقته وشايات الحاسدين والأعداء، حتى أفسدوا ما بينه وبين الوزير «ابن الخطيب» الذي سعى به بدوره لدى السلطان، وعندئذ أدرك «ابن خلدون» أنه لم يعد له مقام بغرناطة بل و«الأندلس» كلها. وفي تلك الأثناء أرسل إليه «أبو عبد الله مُحَمَّد الحفصي» - أمير «بجاية» الذي استطاع أن يسترد عرشه - يدعوه إلى القدوم إليه، ويعرض عليه أن يوليه الحجابة وفاء لعهده القديم له، فغادر ابن خلدون الأندلس

إلى بجاية فوصلها في منتصف عام [766هـ= 1365م]، فاستقبله أميرها، وأهلها استقبالا حافلا في موكب رسمي شارك فيه السلطان وكبار رجال دولته، وحشود من الجماهير من أهل البلاد.

الفرار من جديد

وظل ابن خلدون في رغدة من العيش وسعة من الرزق والسلطان حتى اجتاح «أبو العباس أحمد» - صاحب «قسطنطينة» - مملكة ابن عمه الأمير «أبي عبد الله» وقتله واستولى على البلاد، فأقر «ابن خلدون» في منصب الحجابة حينا، ثم لم يلبث أن عزله منها. فعرض عليه الأمير «أبو حَمُّو» - سلطان «تلمسان» - أن يوليه الحجابة على أن يساعده في الاستيلاء على «بجاية» بتأليب القبائل واستمالتها إليه؛ لما يعلمه من نفوذه وتأثيره، ولكن ابن خلدون اعتذر عن قبول الوظيفة، وعرض أن يرسل أخاه يحيى بدلا منه، إلا أنه استجاب إلى ما طلبه منه من حشد القبائل واستمالتها إليه، ولكن الأمور انتهت بهزيمة «أبي حمو» وفراره، وعاد «ابن خلدون» إلى الفرار من جديد بعد أن صار مطاردا من كل حلفائه.

مولد «المقدمة» في «قلعة ابن سلامة»

ترك ابن خلدون أسرته بفاس ورحل إلى الأندلس من جديد، فنزل في ضيافة سلطانها «ابن الأحمر» حينا، ثم عاد إلى «المغرب» مرة أخرى، وقد عقد العزم على أن يترك شئون السياسة، ويتفرغ للقراءة والتصنيف. واتجه «ابن خلدون» بأسرته إلى أصدقائه من «بني عريف»، فأنزلوه بأحد قصورهم في «قلعة ابن سلامة» - بمقاطعة «وهران» بالجزائر - وقضى «ابن خلدون» مع أهله في ذلك المكان القصي النائي نحو أربعة أعوام، نعم خلالها بالهدوء والاستقرار، وتمكن من تصنيف كتابه المعروف «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، والذي صدره بمقدمته الشهيرة التي تناولت شئون الاجتماع الإنساني وقوانينه، وقد فرغ «ابن خلدون» من تأليفه وهو في نحو الخامسة والأربعين بعد أن نضجت خبراته، واتسعت معارفه ومشاهداته.

ابن خلدون في مصر

وأراد «ابن خلدون» العودة إلى «تونس» فكتب إلى أبي حمو يستأذنه ويرجو صفحه، فأذن له السلطان، فعاد إلى مسقط رأسه، وظل عاكفا على البحث والدراسة حتى أتم تنقيح كتابه وتهذيبه، وخشي ابن خلدون أن يزج به السلطان إلى ميدان السياسة الذي سئمه وقرر الابتعاد عنه، فعزم على مغادرة تونس، ووجد في رحلة الحج ذريعة مناسبة يتوسل بها إلى السلطان ليخلي سبيله، ويأذن له في الرحيل. وصل «ابن خلدون» إلى الإسكندرية في [غرة شوال 784هـ= 8 من ديسمبر 1382م] فأقام بها شهرًا ليستعد لرحلة السفر إلى «مكة»، ثم قصد - بعد ذلك - إلى «القاهرة» - فأخذته تلك المدينة الساحرة بكل ما فيها من مظاهر الحضارة والعمران، وقد وصف «ابن خلدون» وقعها في نفسه وصفا رائعًا، فقال: «فرأيت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه، وقد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة، ومدفع مياه السماء، يسقيهم النهل والعلل سيحه، ويحيي إليهم الثمرات والخيرات لجة، ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة، وأسواقها تزجر بالنعم...».

حفاوة المصريين بابن خلدون

ولقد لقي «ابن خلدون» الحفاوة والتكريم من أهل «القاهرة» وعلمائها، والتف حوله طلاب العلم ينهلون من علمه، فاتخذ «ابن خلدون» من «الأزهر» مدرسة يلتقي فيها بتلاميذه ومريديه، وقد تلقى عنه عدد كبير من الأعلام والعلماء، منهم «تقي الدين المقريزي»، و«ابن حجر العسقلاني». ولقي «ابن خلدون» تقدير واحترام «الظاهر برقوق» - سلطان «مصر» - الذي عينه لتدريس الفقه المالكي بمدرسة القمحية، كما ولاه منصب قاضي قضاة المالكية، وخلع عليه ولقبه «ولي الدين» فلم يدخر «ابن خلدون» وسعًا في إصلاح ما لحق بالقضاء - في ذلك العهد - من فساد واضطراب، وقد أبدى صرامة وعدلا شهد له بهما كثير من المؤرخين، وكان حريصًا على المساواة، متوخيًا للدقة، عازفا عن المحاباة، وقد جلب له ذلك عداء الكثيرين فضلا عن حساده الذين أثارتهم حظوته ومكانته لدى السلطان، وإقبال طلاب العلم عليه، ولم يبد «ابن خلدون» مقاومة لسعي الساعين ضده، فقد زهدت نفسه في المناصب خاصة بعد أن فقد زوجته، وأولاده وأمواله حينما غرقت بهم السفينة التي أقلتهم من «تونس» إلى «مصر» بالقرب من «الإسكندرية»، وقبل أن يصلوا إليها بمسافة قصيرة.

ملاحقة الوشاة لابن خلدون

وترك «ابن خلدون» منصبه القضائي سنة [787هـ= 1385م] بعد عام واحد من ولايته له، وما لبث السلطان أن عينه أستاذا للفقه المالكي بالمدرسة «الظاهرية البرقوقية» بعد افتتاحها سنة [788هـ= 1386م]. ولكن وشايات الوشاة ومكائدهم لاحقته حتى عزله السلطان، واستأذن «ابن خلدون» في السفر إلى فلسطين لزيارة بيت المقدس، وقد سجل ابن خلدون رحلته هذه ووصفها وصفا دقيقا في كتابه التعريف.

ابن خلدون يقابل تيمورلنك

وحينما جاءت الأنباء بانقضاض جيوش تيمور لنك على الشام واستيلائه على «حلب»، وما صاحب ذلك من ترويع وقتل وتخريب، خرج الناصر فرج في جيوشه للتصدي له، وأخذ معه ابن خلدون فيمن أخذهم من القضاة والفقهاء.

ودارت مناوشات وقتال بين الفريقين، ثم بدأت مفاوضات للصلح، ولكن حدث خلاف بين أمراء «الناصر فرج»، وعلم السلطان أنهم دبروا مؤامرة لخلعه، فترك دمشق ورجع إلى القاهرة. وذهب ابن خلدون لمقابلة «تيمور لنك» يحمل إليه الهدايا، ويطلب منه الأمان للقضاة والفقهاء على بيوتهم وحرمهم.

العودة إلى القضاء

وعندما عاد «ابن خلدون» إلى «مصر» سعى لاستبراد منصب قاضي القضاة، حتى نجح في مسعاه، ثم عزل منه بعد عام في [رجب 804هـ= فبراير 1402م]، ولكنه عاد ليتولاه مرة أخرى في [ذي الحجة 804هـ= يناير 1402م] انتهت بوفاته في [26 من رمضان 808هـ= 16 من مارس 1405م] عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا.

ابن خلدون.. مؤسس علم الاجتماع

يعد ابن خلدون المنشئ الأول لعلم الاجتماع، وتشهد مقدمته الشهيرة بريادته لهذا العلم، فقد عالج فيها ما يطلق عليه الآن «المظاهر الاجتماعية» - أو ما أطلق عليه هو «واقعات العمران البشري»، أو «أحوال الاجتماع الإنساني».

وقد اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها، والحياة بين أهلها، وتعقب تلك الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة. وقد كان «ابن خلدون» - في بحوث مقدمته - سابقًا لعصره، وتأثر به عدد كبير من علماء الاجتماع الذين جاءوا من بعده مثل: الإيطالي «فيكو»، والألماني «ليسنج»، والفرنسي «فولتير»، كما تأثر به العلامة الفرنسي الشهير «جان جاك روسو»، والعلامة الإنجليزي «مالتس» والعلامة الفرنسي «أوجيست كانط».

ابن خلدون «وعلم التاريخ»

تبدو أصالة ابن خلدون وتجديده في علم التاريخ واضحة في كتابه الضخم «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، وتتجلى فيه منهجيته العلمية وعقليته الناقدة والواعية، حيث إنه يستقرئ الأحداث التاريخية، بطريقة عقلية علمية، فيحققها ويستبعد منها ما يتبين له اختلاقه أو تهافته. أما التجديد الذي نهجه «ابن خلدون» فكان في تنظيم مؤلفه وفق منهج جديد يختلف كثيرًا عن الكتابات التاريخية التي سبقته، فهو لم ينسج على منوالها مرتبًا الأحداث والوقائع وفق السنين على تباعد الأقطار والبلدان، وإنما اتخذ نظامًا جديدًا أكثر دقة، فقد قسم مصنفه إلى عدة كتب، وجعل كل كتاب في عدة فصول متصلة، وتناول تاريخ كل دولة على حدة بشكل متكامل، وهو يتميز عن بعض المؤرخين الذين سبقوه إلى هذا المنهج كالواقدي، والبلاذري، وابن عبد الحكم، والمسعودي بالوضوح والدقة في الترتيب والتبويب، والبراعة في التنسيق والتنظيم والربط بين الأحداث. ولكن يؤخذ عليه أنه نقل روايات ضعيفة ليس لها سند موثوق به.

عودة النبي من غزوة تبوك

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك عودة النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، التي تخلف عن حضورها بعض الصحابة، وحينما عاد النبي دخل المسجد فصلى واعتذر من اعتذر، وكانت حادثة مقاطعة كعب بن مالك وصاحبيه.

الطريق إلى تبوك

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وبدأ التحرك بالجيش الإسلامي نحو تبوك يوم الخميس قبل منتصف شهر رجب سنة 9هـ حيث وصل إلى تبوك في شعبان سنة 9هـ وأقام فيها مدة عشرين يومًا ولم يلاق حشود الروم الذين جبنوا عن التقدم للقاء الجيش الإسلامي. فظل الرسول صلى الله عليه وسلم مدة إقامته يعقد معاهدات مع أمراء المناطق وقبائلها، وأرسل سرية بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى دومة الجندل فأسرت أكيدر ملك دومة الجندل وقدم به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليعاهده.

وحققت الغزوة أهدافها سواء من تحدي الروم وإظهار جبنهم وإثارة الرعب في القبائل النصرانية التي تساعد الروم، ثم -وهو الأهم- إعلان ظهور دولة الإسلام كدولة قوية تستطيع تحدي الروم ومهاجمة أراضيهم. عاد الرسول صلى الله عليه وسلم بالجيش الإسلامي قافلا نحو المدينة حيث وصلها في شهر رمضان سنة 9هـ.

تحقيق وحساب للمخلفين

وهنا حان وقت التحقيق والحساب مع الذين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي كما يحكيها أحد المخلفين، وهو كعب بن مالك رضي الله عنه «...غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حيث طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه. فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا؛ فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا. ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئا. فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو (فات وقته وتقدم)، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم- فطفت فيهم – أحزنني أنني لا أرى إلا رجلا مغموصًا (محتقرا) عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء... فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدًا؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادمًا زاح عني الباطل وعرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، فجئت فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قلت بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، لا والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. وثار رجال من بني سلمة.. ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، رجلان، قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا، فيهما أسوة. فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها(نحن) الثلاثة من بين من تخلف عنه».

المقاطعة.. مطلب شرعي

وحين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بمقاطعة الثلاثة الذين صدقوا حديثهم، وعدم الكلام معهم، بدأت قصة تربيتهم وصقلهم وفرض العزل الاجتماعي عليهم، فالمقاطعة التربوية التي وقعت على هؤلاء الثلاثة: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية لها منافع عظيمة وجسيمة في تربية المجتمع الإسلامي على الاستقامة وقوة الإرادة والوفاء الثابت ولمنع أفراد هذا المجتمع من التورط في المخالفات سواء كان ذلك بترك شيء من الواجبات، أو فعل شيء من المحرمات، أو كان بالتسويف في الأمر إلى حد التفريط، حيث يتوقع الذي يفعل ذلك أنه سيكون مهجورًا من جميع أفراد المجتمع؛ فلا يفكر في الفعل المخالف لأوامر القيادة قط. فالمقاطعة التربوية هنا نوع من الهجر الديني الذي هو مطلب شرعي يثاب فاعله، وهو غير الهجر الدنيوي فهو مكروه، وإذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه يكون محرمًا. ويحدثنا كعب بن مالك عن الآلام النفسية المبرحة التي عاناها وصاحبيه نتيجة المقاطعة التربوية التي فرضها الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وبلغت من المدة خمسين يومًا فيقول: «... فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج. فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة مع المسلمين فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك علي من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت. فعدت فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني دفع إلي كتابًا من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت حين قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال لا بل اعتزلها لا تقربنها. أرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر».

كتاب أبو عبيدة بن الجراح إلى خليفة رسول الله

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك المصادف للثالث من كانون الأول للعام الميلادي 633، كتب أبو عبيدة بن الجراح «رضي الله عنه» أحد قادة جيوش المسلمين بالشام إلى الخليفة أبي بكر الصديق «رضي الله عنه» يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان، وهدانا لما اختلف المختلفون فيه بإذنه، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وإن عيوني من أنباط الشام أخبروني أن أوائل أمداد ملك الروم قد وقعوا عليه، وأن أهل الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه، وأنه كتب إليهم أن أهل مدينة من مدائنكم أكثر ممن قدم عليكم من العرب، فانهضوا إليهم فقاتلوهم فإن مددي يأتيكم من ورائكم، فهذا ما بلغني عنهم وأنفس المسلمين لينة بقتالهم، وأخبرونا أنهم قد تهيأوا لقتالنا، فأنزل الله على المؤمنين نصره وعلى المشركين رجزه إنه بما يعملون عليم، والسلام».

أولى محاولات الجيش الإسلامي التوغل إلى فرنسا

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك وبعد أن فتح العرب المسلمون أسبانيا عام 92 للهجرة وأستتب الأمر هناك للخلفاء الأمويين، حاول بعض قواد الجيش الإسلامي التوغل إلى فرنسا، فكانت أولى المحاولات، محاولة السمح إبن مالك الخولاني الذي أندفع عام 100 للهجرة، فوصلت قواته إلى مدينة تولوز في جنوبي فرنسا، لكن الجيوش الإسلامية هزمت وقتل السمح، فقاد عملية الانسحاب والتراجع عبد الرحمن إبن عبد الله الغافقي.

مقتل مُحَمَّد النفس الزكيّة

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك المصادف للسابع عشر من شهر كانون الأول للعام الميلادي 762، كان مقتل مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكيّة، وكان مُحَمَّد النفس الذكيّة خرج على الخليفة أبي جعفر المنصور وإستقر بالمدينة، فندب المنصور لحربه عمه، وولي عهده عيسى بن موسى، الذي سار على رأس جيش لمحاربة مُحَمَّد النفس الزكيّة، وكان لدى الأخير جيش يقارب المائة ألف، ولكنهم جميعا إنفضوا من حوله وبقي في شرذمة قليلة يقاتل حتى قتل في نفس اليوم.

مولد أبي الثناء

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك مولد أبي الثناء محمود بن أحمد بن موسى، المعروف ببدر الدين العيني، أحد أئمة الفقه والحديث والتاريخ في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وصاحب العديد من المؤلفات الشهيرة، مثل: «عقد الجمان»، و«عمدة القاري في شرح صحيح البخاري».

موقعة حطين

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك الموافق للسابع عشر من شهر تشرين الثاني للعام الميلادي 1188، كانت موقعة حطين الشهيرة بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، والتي أنهت الوجود الصليبي في المشرق.

بدء ثورة الزنج:

في 26 رمضان 255هـ الموافق 869م بدأت ثورة الزنج، وهو القبائل الزنجية التي تقطن ساحل أفريقيا الشرقي، وقد أطلق مؤرخو العرب هذا الاسم على العبيد المنتفضين الذين أثاروا الرعب في القسم الأسفل من العراق 15 عاما حتى عام 884م، وكانت فتنة الزنج على جانب كبير من الأهمية، ونشبت بزعامة علي بن محمد بن عيسى المعروف (البرقعي) وبمعاونة القرامطة

دخول مصر والشام تحت الراية العثمانية

في مثل هذا اليوم من شهر رمضان المُبارك وبعد انتصار السلطان العثماني سليم على الدولة المملوكية التي كانت تحكم سوريا وفلسطين ومصر، دخلت مصر والشام تحت الراية العثمانية، وأصدر السلطان سليم في مثل هذا اليوم قرارا بتولي أسكندر أورونوس، حكم الإسكندرية، وبعد أن أمضى السلطان سليم في مصر سبعة أشهر وعند وصوله إلى دمشق أطلق عليه خادم الحرمين الشريفين، فبدأ بالتطلع إلى حمل لقب خليفة المسلمين.